

صراع هام بين الاسلام والقوى الاحادية فى شبه القارة اورنك زيب عالمكير - داراشكوه

محمود أحمد غازى

كان اليوم السابع من ذى الحجة ١٠٦٧ هـ الموافق للسادس من ديسمبر ١٦٥٧ م يوماً تاريخياً عظيماً فى تاريخ شبه القارة الاسلامى ، وكان بداية لسلسلة حوادث جلى ، ومنطلق أشد صراع و آخره بين الاسلام والقوى الاحادية الذى شهده العهد الاسلامى . فاجأ فى هذا التاريخ مرض الموت الامبراطور شاهجهان . وكان ابنه الأمير أورنك زيب فى دكن يواصل عملياته ضد المراهته والبعثة الشيعيين الذين قاموا هناك ضد الامبراطورية المسلمة وأثاروا البلابل فى الشعب . وأما الابن الاكبر دارا شكوه فكان فى البلاط الملكى ، فكان أول من علم بمرض أبيه فبادر إلى اتخاذ خطوات و تدابير وقائية للاستيلاء على العرش بعد وفاة أبيه فوراً . فسد جميع الطرق التى كان يمكن بها وصول نبأ مرض الامبراطور إلى أخيه أورنك زيب والاخوة الاخرين . ثم استولى على شئون الدولة وبدأ يمارس سلطات الحكم بتوقيع مصطنع للامبراطور تمرنه بنفسه . (١)

ثم أصدر دارا شكوه عدة مراسيم امبراطورية باسم شاهجهان إلى الامراء والاخوان وخاصة إلى أورنك زيب يريد بذلك تضليلهم ومخادعتهم . وحصل لنفسه توقيعات من الامبراطور على اوراق مصطنعة

تمنحه مناصب لانظيرلها فى تاريخ الهند ، ونال جوائز غالية باسم الامبراطور .

ولكن قبل أن نتابع الاحداث يجدر بنا أن ندرس الموقفين اللذين تبلورا فى شخصية أورنك زيب زعيم الجبهة الاسلاميه وشخصية دارا شكوه زعيم القوى الالحادية .

كان دارا شكوه أكبر الابناء الاربعة لشاهجهان من بطن زوجته «ممتاز محل» . وكان واسع الاطلاع والمعرفة على الديانة الهندوكية وعلوم البراهمة . وكان شغوفاً بدراسة الاديان المختلفة . وكان يتقن العربية والفارسية . وحصل على المعارف الهندوكية واللغة السنسكريتية فى بنارس فى المعابد الهندوكية على أيدي الاساتذة البرهمنيين . وكان حبا إليه الامبراطور شاهجهان الذى كان يحبه حبا جما أفسد أخلاقه وعاداته . فكان يستكبر ويعجب بنفسه ويحتقر الصالحين وأهل التقوى ويصادق الفساق وأهل الهوى . كان من أعداء الحركة المجددية يعادى كل من انتمى الى هذه الحركة . وكان دائما يحاول أن ينال من منزلة أخيه الصالح البار أورنك زيب الذى كان موضع حبا واحترام واجلال وتشجيع لدى السادة المجددين (٢) .

ويقول المؤرخ المغولى محمد كاظم فى كتابه عالمكيرنامة من

نزعة داراشكوه الالحادية :

«ورسخ فى قلبه الالحاد والنظريات الاباحية التى كان يسميها التصوف . ولم يقتنع آخر الأمر بالجهر بالالحاد والاباحية بل تعدى الامر الى ماوراء ذلك ، فاولع ولعا شديدا بدين الهنداكة وعاداتهم وطقوسهم . وبدأ يصاحب البراهمة وأصحاب فلسفة اليوغا والمتصوفين الهندود ويعتبرهم مرشدين كاملين وعارفين واصلين الى الحق . وكان يؤمن أن

الويدا كتاب سماوى وخطاب ربانى ومصحف أول من مصاحف الكتاب
الكريم ، (٣) .

وكان يشاع عنه ميله الى السير بخطى جده أكبر فى المحاولة لايجاد دين
جديد يمزج فيه الاسلام والهندوكية بخاصة والاديان الأخرى بعامة . ولم
تكن آراءه هذه تنحصر فى شخصه بل قام بحملة تاليفية علمية لنشر هذه
الآراء الالحادية فى الشعب والاوساط الادبية . فنقل عدة كتب دينية
هندوكية من السنسكريتية الى الفارسية - لغة الاوساط الادبية والثقافية
الاسلامية فى شبه القارة . وكان بين الكتب التى ترجمها من
السنسكريتية الى الفارسية كتاب او بانيشد ، أهم الكتب المقدسة
الهندوكية . ويمكن تقدير مدى تأثير دارا شكوه بهذا الكتاب ومحتوياته
أنه سمي ترجمته باسم : السر الاكبر . ويدعى دارا شكوه أنه أقدم كتاب
سماوى فى تاريخ البشر ، ويقول أنه هو الكتاب الذى أشار اليه القرآن
الكريم بقوله : انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون .
فهو الكتاب المكنون وكنز التوحيد عند داراشكوه .(٤)

ونذكر فى مايلى مؤلفات دارا شكوه التى ألفها بنفسه أو هى الفت تحت
اشرافه الخاص وتحتوى على آرائه وتبين نزعاته الفكرية والدينية .
١- سفينة الاولياء .

وهو أول كتاب ألفه داراشكوه . وكان تأليفه فى بداية انتمائه الى
الفكر الصوفى الوجودى . وكان عام تأليفه ١٠٤٩ هـ وهو اذ ذاك ابن
خمس وعشرين سنة . ويحتوى الكتاب على ترجمة ١١ مؤمن المتصوفين
والأولياء . ويذكر المؤلف نفسه باسم : الفقير محمد داراشكوه الحنفى
القادري . وهذا الكتاب أحسن مؤلفات داراشكوه دينا وفكرا ، فانه بدأه
بالحمد لله رب العالمين ثم الصلاة والسلام على سيد الكائنات وفخر

الموجودات صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر خلفاءه الاربعة رضوان الله عليهم اجمعين وقال : إن حبهم وولائهم عبادة عن حب الله ورسوله وعدائهم عبارة عن العداة مع الله ورسوله . (٥)

٢- سكينه الاولياء .

وهو فى ذكر الشيخ ميان مير اللاهورى الذى كان مرشداً لملاشاه البدخشانى مرشد دارا . وكان تاليفه عام ١٠٥٢ هـ لما كان المؤلف ابن ٢٨ سنة . ويدعى المؤلف فى هذا الكتاب أنه يتلقى إلهاماً من الله تعالى ويأتيه النداء الربانى بين حين وآخر . ويقول إنه سمع نداءً من الله أنه تعالى سوف يرزقه شيئاً لم يرزق مثله من الملوك أحداً . ثم عبر هذا النداء بنفسه وقال ان تعبيره ظهر لما تشرف بيعة ملاشاه البدخشانى فى ٢٩ ذى الحجة من نفس السنة . (٦)

٣- حق نما (مرآة الحق) :

وهى رسالة أبان فيها طريق الوصول الى الحق ومدارجه ، ويقول ان أهل الله والعارفين حينما يقرأون هذه الرسالة سوف يتحIRON ويعجبون بعلمى العميق ومعرفتى وبصيرتى النافذة ويتعجبون كيف فتحت أبواب المعرفة وانجلى الحقائق الروحانية على أمير مثلى بدون أن أقوم بأية عبادة أو أمارس رياضة روحية . وتحتوى هذه الرسالة على أربعة فصول . وذلك لانه سمع الهاتف الغيبى يقول له فى الرؤيا أربع مرات أن الله تعالى يعطيك مالم يعطه لاحد من السلاطين .

وكتبت هذه الرسالة فى سنة ١٠٥٦ هـ ويشتمل على كثير من العبارات والاساليب التى اعترض عليها العلماء ، وكانت معارضة لاحكام الشريعة الاسلامية . (٧)

٤- حسنات العارفين :

ألفه في ١٠٦٢ هـ وجمع فيه شطحات الصوفية والاحاديث الموضوعية لتأييد دعاويه الباطلة . وادعى أنه قد بلغ منزلة روحية لاحاجة فيها الى أداء العبادات . وكانت هذه الرسالة في الحقيقة ردا على اعتراضات العلماء على رسالته السابقة : حق نما (مرآة الحق) وكان يحاول من جمع شطحات الصوفية أن يثبت أن الانسان اذا اكتمل روحيا وبلغ درجة الكمال في التصوف صدرت منه كلمات وعبارات تبدو في بادئ الامر كأنها تعارض الشريعة ولكنها في الحقيقة تدل على كمال قائلها الروحي والباطني . (٨)

٥- مجمع البحرين :

ألفه عام ١٠٦٥ هـ وهو آخر كتاب ألفه داراشكوه بنفسه . وحاول فيه المؤلف أن يجمع بين الاسلام والهندوكية وادعى أن التصوف وفلسفة الويدانتا الهندوكية متحدان من حيث مبادئها وتعاليمهما وكونهما حقا . وكل من اختار احدهما واعتصم به بلغ الى الحق ووصل المراد . ولم يأت المؤلف في هذا الكتاب بشئ جديد ، بل جمع فيه آراء الكتب الهندوكية المقدمة وافكار الفلاسفة الهندوكيين . وكان يخشى أن القراء المسلمين يشورون على هذا الكتاب ، فكتب في مقدمته أن هذا الكتاب ليس للامة الجهلة من المسلمين والهنداكة ، بل للذين عندهم معرفة أسرار الكون ، والذين لا يرون أي فرق بين الاسلام والهندوكية ويرون أن الفرق الذي يوجد بين هاتين الديانتين هو لفظي وظاهري فقط ، لا غير(٩).

٦- منهاج السالكين :

هذا الكتاب ليس تأليف دارا شكوه ، بل قام بتأليفه بعض أصدقائه الهنداكة تحت أمره واشرافه الخاص . وهو ترجمة كتاب صوفي

من السنسكريتية إلى اللغة الفارسية . وكان تأليفه عام ١٠٦٦ هـ واسم الكتاب فى السنسكريتية جوگ بشست .

٧- ترجمة كتاب بهگوت گيتا إلى الفارسية :

وهو أيضا أحد الكتب المقدسة عند الهنداكة . وكلمة بهگوت گيتا معناها . الانشودة الالهية . ويحتوى الكتاب على الشعر الهندوكى الدينى ويتجه اتجاها وثيقا الى الفلسفة الوجودية والفكر الويدانتى .

ولنلق الان نظرة عابرة على حياة ذلك الرجل الفذ الذى قضى على هذه المؤامرة التى دبرتها القوى المعادية للاسلام وحاكتها أيدي الهنداكة والصوفية الوجودية والذى تزعم الكتلة الاسلامية وقاد الحركة الاسلامية فى جو معادى وفى وجه أشد معارضة ممكنة . ولاشك أن الزمان قل أن وجود بمثل هذه الشخصية الكبيرة الفذة . ولو قلنا أن اورنك زيب أكبر مسلم و أعظم قائد اسلامى ظهر فى شبه القارة منذ بداية العهد الاسلامى حتى هذا اليوم لم يكذبنا أحد .

ولنعترف أن حياة هذه الشخصية الجبارة لجديرة بأن يخصص لها تاليف مستقل للناطقين بالضاد وأن تأليف سيرة له باللغة العربية لحق على الادباء المسلمين بالهند وباكستان وعلمائهما وباحثيها الذين يكتبون باللغة العربية . ولاشك أنه من فرائض الكفاية على الأمة الاسلامية جمعاء وأمانة فى اعناق علماء الاسلام الذين هم مسئولون أمام الله وأمام التاريخ لأداء هذه المهمة .

ولد أورنك زيب فى قرية دوحد (التى تقع على ثغور ولايتى مالوه و گجرات) فى الخامس عشر من ذى العقدة ١٠٢٧ هـ الموافق بالرباع والعشرين من أكتوبر ١٦١٨ م فى ليلة بين يومى السبت والأحد . وكان جده و والده وجنودهما راجعين من أحمد نكر بعد أن انتصروا على ملك

عبر قائد أحمد نكر الذي حاول أن يستقل من الحكومة المركزية . فجاء ميلاده متزامنا مع هذا الانتصار الكبير والفتح المبين ، فكان فألاصالحا ان دل على شئ فانما دل على حسن بخت هذا المولود السعيد وعظم قدره وجلالة شأنه .

وتتلمذ على كبار الاساتذة ، واستمرت تلمذته حتى بعد اعتلائه على العرش وتسلمه مقاليد الحكم في أكبر امبراطورية في زمانه . ونذكر في مايلي جماعة من العلماء الذين قرأ عليهم هذا النابغة العبقري والذين يرجع اليهم الفضل في تكوين شخصية اورنك زيب وثقيفة .

- ١- مير محمد هاشم الكيلاني
- ٢- الشيخ محي الدين موهن البهاري
- ٣- الامير سعد الله خان رئيس الوزراء في العهد الشاهجهاني وزميل الامام المجدد في حلقة دروس الحديث في كشمير
- ٤- الشيخ سيد محمد القنوجي ، وقرأ عليه اورنك زيب الادب العربي واللفه العربية والرياضيات
- ٥- الشيخ أحمد المعروف بملاجيون ، أحد كبار الفقهاء والمفسرين الذين ظهروا في شبه القارة . وله عدة كتب في اصول الفقه وأحكام القرآن يعتمد عليها العلماء والباحثون .
- ٦- دانشمند خان

كان من نتيجة تلمذه على أمثال هؤلاء الاساتذة أن أتقن أورنگ زيب اللغات العربية والفارسية والتركية والهندية والاردوية . وكان يجيد الفارسية الى حد أن مقالاته ومكاتيبه ورسائله في الفارسية هي من أحسن ما ألف في الفارسية في شبه القارة ومن أجودها . وكان يحسن أنواع الخط العربي النسخ والنستعليق كما يظهر من نسخ المصحف

الكريم التي توجد حتى الآن والتي كتبها أورنگ زيب عالمگير بيده لبيعها ويقتات منها لنفسه وهو يملك شبه القارة باكملة . وحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثلاث و أربعين . بدأ حفظ كتاب الله فى عام ١٠٧١ هـ ١٦٦١ م وانتهى من حفظه فى عام ١٠٧٢ هـ ١٦٦٢ م وهو يومئذ امبراطور أكبر امبراطورية اسلامية شهدتها شبه القارة .

ويبدو كأنه بدأ حفظ كتاب الله الكريم شكراً لله تعالى على ما أنعم عليه من نعم جليلة ويسر له الانتصار على الكتلة الالحادية المتحدة . وحفظه للقرآن الكريم فى أقل من سنتين يدل على أن ذاكرته كانت قوية جدا ، كما يدل على شغفه الكبير بكتاب الله ، فانه حفظه فى مدة كانت امبراطوريته تمر بأزمة شديدة ، وكان أورنگ زيب مشغلا فى توطيد أركان الحكومة وتنظيم البلاد تنظيما جديدا بعد أن تدهورت الاوضاع وساءت الاحوال كنتيجة للحروب الطويلة الدامية التى استمرت عدة سنوات . وجاء فى كتاب (مآثر عالمگيرى) عن مكانة اورنگ زيب العلمية والدينية ما يلى :

«وكانت له رحمه الله قدم راسخة فى جميع المراتب الدينية التى تقتضيها طبيعته السعيدة . وكان عاملا بمذهب الامام الاعظم أبى حنيفة رضى الله عنه معتصما بأسس الاسلام الخمسة . وكان دائما على الوضوء، رطبا لسانه بذكر الله وكلمة التوحيد والادعية الماثورة والاوراد المسنونة ، وكان يؤدى صلواته الواجبة فى أول أوقاتها فى الجامع أو غير الجامع مع جماعة من المسلمين . ثم يؤدى جميع السنن والنوافل والمستحبات بخشوع تام وخشوع كامل . وكان رحمه الله يصوم الايام البيض وكل يوم الاثنين ويوم الخميس ويوم الجمعة . وكان يؤدى صلاة الجمعة بكافة مسلمين وعامة المؤمنين وكان من دابه قيام الليل فى الليالى المباركة .

وكان من تحمسه لطلب الحق أنه كان يجالس جماعة من العلماء وأهل الله في مقصورته في مسجد القصر ، ويدفع الزكوة الشرعية ... كل سنة الى المستحقين ... ويعتكف في المسجد في الايام العشرة الاخيرة من شهر رمضان ، (١٠) .

ولما دبرت القوى الهندوكية مؤامرتها لاعلاء داراشكوه على عرش الامبراطورية وبدأ الاشتباك بينها وبين القوى الاسلامية تحت زعامة اورنگ زيب الامير المجاهد العالم المتدين كانت عواطف الخواجه محمد سعيد (١١) كلها مع أورنگ زيب . فكان يؤيده بجميع وسائله ، ويأمر مرديه بتأييد أورنگ زيب . وخلال هذه المدة الخطيرة والوضع الحرج غادر الخواجه وطنه سرهند وتوجه لتقاء العاصمة يريد الذهاب الى مكة المكرمة ليتشرف بزيارة بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج ، واجتمع في دلهي مع اورنگ زيب وبشره بالنجاح في المعركة التي كان يقودها ضد القوى الطاغية ونصحه بتطبيق شريعة الاسلام واحياء المجتمع الاسلامي في جميع نواحيه . ولما رجع من بيت الله كان ذلك في عهد أورنگ زيب الذي قد اعتلى العرش بعد أن قضى على جميع المؤامرات (١٢) . وادى تأييد الخواجه محمد سعيد وزملائه في الحركة المجددية لأورنگ زيب الى مساعدة جميع العلماء والطبقات الاسلامية المختلفة . فشكل جبهة متحدة لتأييد اورنگ زيب ونصره الذي أدى الى التفات الجماهر حوله .

فالخطوة الأولى التي اتخذها أورنگ زيب في سبيل القضاء على هذه المؤامرة الالحادية هي استعراض الوضع السياسي السائد في شبه القارة . فرأى أن جميع القوى السياسية والعسكرية التفت الى مختلف الامراء أبناء شاهجهان . فرأى أورنگ زيب أن يحدد بعض الأمراء ويتحد مع بعضهم بالوصول معه الى اتفاقية التعاون ضد داراشكوه ، وتجلت هذه

المحاولات فى الاتفاقية التى حصلت بين اورنگ زيب ومراد للتعاون الوثيق لصالح الاسلام والمسلمين فى شبه القارة ، وهذا ملخص الاتفاقية .

«الهدف من هذه الاتفاقية هو اعلاء الدين المتين لسيد المرسلين عليه من الصلاة أتمها ومن التحيات أعمها ، والقضاء على الاحاد والزندقة لتخيب جهود رئيس الملاحدة واتباعه واحزابه ، ولتصون أرض الهند التى طهرها أجدادنا الكرام البواسل بمساعيهم الجميلة من أدناس الكفر والشرك ، لنصون هذه الأرض من فتن الافتراق والتحزب . ووفق للأخ العزيز (محمد مراد) أن يوافقنا ويعاوننا فى هذه المهمة المباركة وأقسم بالله اليمين أن يبقى رفيقانا وسهيما على تعاقب الأيام والليالى ويستقيم فى جادة الوفاق والوثام بعد استقرار شئون الدولة وتنظيمها واستئصال جذور ذلك العدو - عدو الدين والدولة - ووعد الأخ الكريم أن يصادق صديقنا ويعادى عدونا ، ولا يخطو خطوة إلا برضانا ، ويقتنع بما سوف نترك له من أقاليم البلاد ولا يطالب بأكثر من ذلك ، وأما نحن بدورنا فنؤكد لأخينا العزيز بأننا نتابع عنايتنا به واخلصنا له مادام قائما على عهده وميثاقه . ونوليه أقاليم لاهور وكابل وكشمير وملتان وبهكر وتهته حتى خليج عمان ، ولا يجد الأخ الكريم انشاء الله أية صعوبة فى هذا الامر وتمنح له فرصة الوصول الى مركز ولايته فورا بعد استئصال ذلك الملحد ، ونشهد الله ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم على وعدنا هذا . وها نحن نكتب هذه الوثيقة لمزيد من الاطمينان . ونرجو من الأخ الكريم أن يلتزم بعهده وفق قول الله تعالى : وأوفوا بالعهد ، ان العهد كان مستثلا ، وأن لا يميل الى أهل الاغراض والشهوات الذين كثروا فى هذه الايام . وفقنا الله تعالى واياكم لما يحب ويرضاه . والله يقول الحق وهو يهدى

كانت هذه الاتفاقية من أهم المنجزات الدبلوماسية التي استطاع أورنگ زيب الفوز بها فى بداية الحركة . وجاء هذا التحالف كخطوة مباركة كسبت وسائل أمير كبير يتمتع بنفوذ كبير وقوة يعتدبها وامكانياته لصالح الاسلام والمسلمين . ولو لم تكن حصلت هذه الاتفاقية لكان من الصعب جدا للقوى الاسلامية وعلى رأسها أورنگ زيب أن تصارع وحدها منذ البداية قوتين مختلفتين وعلى جبهتين مختلفتين . وأما بعد الاتفاقية فظهر الامكان بأن يكون هناك عدو واحد للمواجهة وجبهة واحدة للقتال .

كان الامير مراد قائما بعهدہ يتعاون مع أخيه أورنگ زيب ويعمل تحت قيادته وفق الاتفاقية اذ جاءته رسالة من شاهجهان التي كتبها تحت ضغط وتأثير من دارا شكوه ، وكانت الرسالة تحث مرادا على قتل اورنگ زيب وأنجاله بعد أن يدعوهم للضيافة . ونورد فيمايلي نص هذه الرسالة كما يرويها اورنگ زيب نفسه .

كتاب شاهجهان إلى محمد مراد

« عهدنا ملك الهند بأسرها بطيب خاطر وطوع النفس اليك يا ابننا السعيد ، فالواجب عليك أن تقدم فى هذه القضية بكل حذر وتحمل ، ولاتركنن بهذا السر إلى أحد ، قريبا كان أو بعيدا . وعليك أن تدعو أخاك (أورنگ زيب) وابناء أخيك بعد عدة أيام إلى منزلك بحيلة الضيافة ، ثم تقضى عليهم وتزين الخطب باسمك ولقبك ملكا على البلاد ، فانتى عهدت هذا الامر الخطير اليك يا بنى الحبيب . وأرجو أن تقوم بهذه المسئولية الكبرى بيقظة كاملة . والسلام (١٤) »

ويمكن أن تكون هذه الرسالة مصطنعة لم يعرفها ولم يعلم بها شاهجهان ، وأرسلها دارا شكوه خفية . ولكن كان من سوء حظ الامير مراد

أن تأثر بهذه الرسالة وبدأ يدبر ضد أخيه وقائده أورنگ زيب ويكيد الكيود للاستيلاء على العرش ، وأغراه أصحابه وأعوانه ، وأضلوه عن سواء السبيل . فبدأ يجند الجنود ويجمع الأموال والثروات لينهض ضد أخيه أورنگ زيب .

ولكن أورنگ زيب لم يحتفل بأمره ، وذهب إلى دهلي يتعقب دارا تاركا مرادا وجنوده في آگره . ولما بعد أورنگ زيب عن مدينة آگره متوجها إلى دهلي أعلن مراد اعتلاءه على العرش امبراطورا على الهند . ومنح كثيرا من جماعته ألقابا فخرية بمناسبة اعتلائه عرش الامبراطورية . ولكن قبل أن يفوز في موامرته لقتل أورنگ زيب بدعوته إلى الضيافة نجح أورنگ زيب في اعتقال مراد وإحلاله في قلعة گواليار مع جميع التشريقات الاميرية . وأحل معه جميع أبنائه وأهله حتى أنه أذن لحبيبتة الهندوكية سرستي بائی أن تسكن معه في القلعة . وقرر أورنگ زيب لكل منهم راتبا خاصا . وطمئن مرادا ومن معه أن هذه الاجراءات انما هي مؤقتة وانما اضطر اليها أورنگ زيب نظرا إلى حاجة البلاد والضوضاء والفوضى واخلال بالامن (١٥)

ولكن يبدو أن مرادا لم يقتنع بما حاول أن يقنعه به أخوه أورنگ زيب ، ولم يتخل عن إرادته للقضاء على أورنگ زيب والاستيلاء على الحكم . فبدأ يكيد للفرار عن القلعة . فقام لذلك الغرض بمحاولات عديدة . ورشى بعض موظفي القلعة ومنهم والد المؤرخ الشهير خافي خان الذي كان يشتغل في القلعة آنذاك . ولما تم اعداد البرنامج للفرار من القلعة وأن أوان الخروج ذهب مراد إلى حبيبتة سرستي بائی ليودعها ، فبكت بكاء شديدا وبدأت تحن وتن لفراق حبيبتها . فنبه صوتها الحارسين الذين كانوا غافلين عن هذه المؤامرة ، فخببوا آمال الامير المعتقل ،

وشكوا أمره الى أورنگ زيب . ولكن أورنگ زيب لم يحفل بهذه الشكاوى ولم يخط خطوة ضد أخيه الامير مراد وتركه وشأنه فى القلعة فلبث فى السجن بصنع سنين .

ولما انتصر أورنگ زيب على جميع معارضيه ، وانهزمت القوى المعادية للاسلام ونودى بأورنگ زيب امبراطورا على الهند بدون أى منافس حدثت حادثة ذهبت بحياة الامير مراد . وكان أن رفع أحد أبناء على نقى خان أحد النبلاء المغوليين أمر قصاص والده الى المحكمة ، وكان الأمير مراد قتله فى زمن والده شاهجهان . وأصر المدعى (ابن المقتول) على متابعة هذه المرافعة ، وأبى الا أن يقبل القصاص . فحزن لذلك أورنگ زيب حزنا شديدا ، وحاول بنفسه أن يقنع المدعى بقبول الدية ولكنه رفض أن يقبل طلب الامبراطور وأصر على القصاص فلم يكن للمحكمة بدمن أن تحكم بالقصاص وتأمّر بقتل الأمير مراد . فأعدم فى ٢١ ربيع الثانى ١٠٧٢ هـ . فاغتم الامبراطور أورنگ زيب لموت أخيه غما شديدا . ولم يكلم المدعى مدة طويلة لفرط حزنه وشدة غمه (١٦).

ولما فشلت مؤامرات شاهجهان لاغتيال أورنگ زيب وفردارا الى بنجاب بعد أن رأى هزيمة قاصمة فى دلهى حاولت القوى الهندوكية مرة أخرى للقضاء على أورنگ زيب بأية وسيلة ممكنة . فضغطت على شاهجهان وحصلت منه على كتاب إلى مهابت خان حاكم بنجاب يلتمس منه أن يساعد دارا شكوه ضد أورنگ زيب بجميع ماله من الاموال والجنود والوسائل ، جاء فى هذا الخطاب ايضا : كيف يحب مهابت خان أن يرى رجلا أدان العالم لنفسه بتزويره وخداعه يظفر بعرش الامبراطورية . (١٧).

ولا ندرى هل وصلت هذه الرسالة الى مهابت خان أم لا . وان كل ما نعلمه هو أن مهابت خان لم يأخذ خطوة لتأييد دارا شكوه وظل متحايدا

فى هذه المسئلة . فبعد أن يش شاهجهان من مهابت خان كتب الى ابنه
الآخر محمد مراد رسالته التى أشرنا اليها قبل ذلك .
وأما الاخ الثالث والمنافس الامكانى لأورنگ زيب وهو شجاع ،
فعينه أورنگ زيب وفق طلبه وأمله حاكما على ولايتى بنغال وبهار .
ولكن لما حصل بين أورنگ زيب ودارا اصطدام تلقى شجاع رسالة
من شاهجهان التى كتبها باللغة الهندية يحثه فيها على القيام بثورة ضد
أورنگ زيب . ويبدو أنه كتب هذه الرسالة بعد أن فشلت محاولته لاستغلال
الامير مراد وقواته ضد أورنگ زيب . ولكن من حسن حظ المسلمين فى
شبه القارة ومن حسن حظ الاسلام وكذلك من حسن حظ أورنگ زيب
نفسه أنه ظل خبيرا بجميع هذه المكائد التى كان يكيدها الملك المخلوع
الذى أصبح من أكبر أعداء أورنگ زيب لمجرد أنه خيب آمال أبيه حول
تخليفه ابنه الاكبر .

انتهاز الأمير شجاع هذه الفرصة وتقدم بجنوده نحو أكبر آباد ودهلى
يريد الدخول فى حاضرة البلاد والاستيلاء على العرش الامبراطورى .
ولكن أورنگ زيب أهمل قدومه وتغافل عنه ، بل استمر فى معالجته لأكبر
أعدائه وأقواهم وهو دارا شكوه وبعد أن فرغ من قضية دارا اضطر الى
معالجة شجاع أيضا . فشمز الفريقان عن ساعديهما واستعدا للمقابلة .
فاجتمعا بقرية كهجوه فى السابع عشر من ربيع الثانى ١٠٦٩ هـ . وكان
شجاع قد دبر مؤامرة مع جسونت سنگه أحد القواد الهندوكيين فى جيش
أورنگ زيب ، وأغواه أن يغدر بأورنگ زيب ويشور عليه مفاجأة اذا رحى
رحى الحرب ويهجم عليه من جانب آخر . فلما كانت الليلة التى تبعها يوم
اشتياك الفريقين قام أورنگ زيب حسب عادته يصلى صلاة التهجد فى
خيمته . فبيتا هو يناجى ربه ويعبده اذ سمع هريرا وصوتا فى جيشه .

فاستخبر من لديه من الحراس . فاخبروه أن جسونت سنگه غادر الجيش مع جنده الاربعة عشر ألفا ولحق بجيش شجاع . ولكن أورنگ زيب لم يحفل بأمره ولم يظهر منه أى خوف وحزن بل أشار بيده قائلا :
 «طيب ! اذا ذهب فليذهب» وبعد أن فرغ من صلاته ودعائه طلب قائده العام مير جملة وقال له : « ان هذا منة من الله علينا وفضله أن هذا الغادر غادرنا قبل أوان الحرب ، والله لو غدرنا أثناء القتال لصعبت علينا معالجهته ..»

ولما أصبح الفريقان وتوجها الى ساحة القتال حاول أورنگ زيب مرة أخرى أن يعقد صلحا مع شجاع ويقنعه بالانسحاب عن القتال ويقنع بالمنصب الذى عينه عليه أورنگ زيب قبل ذلك . ولكن شجاعا لم يتيسر له الصلح . فاضطر أورنگ زيب الى القتال وألقى بشجاع هزيمة قاصمة . وفر شجاع حتى لجأ الى بورما و آواه ملك من ملوكها . ولكن شجاعا لم يكن رجلا قانعا بالايواء . فانه لو كان قانعا بمثل هذا لرضى بالحكم على ولايتى بهار وبنغال تحت أخيه أورنگ زيب . فلم يجلس مطمئنا مقتنعا . وحاول الاستيلاء على ملك من آواه ، ولكنه خاب فى محاولته ، وقتل على أيدى ذلك الملك . وسعى أورنگ زيب أن يدعو أبناءه وعائلته الى الهند ، ولكنه لم يجدهم هنالك ، وبعد ذلك لم يوقف لهم على أثر (١٨) .
 كان شاهجهان تحت تأثير وضغط معارضى أورنگ زيب منذ البداية . فاستمر يعرقل طريقه وحاول مرارا ، بدون جدوى ، أن يحرم أورنگ زيب من الحكم ، حتى دبر مرة لاغتياله ، ولكن الله تعالى نجى أورنگ زيب من هذه المكائد التى كادتها عقول الهنداكة وجعلت شاهجهان آلة ووسيلة لتنفيذها . فان أورنگ زيب لما وصل الى آگره ، حاضرة البلاد آنذاك ، ودخل القلعة أبدى شاهجهان المعتقل أمل أن يزوره ابنه الفاتح . فكتب

الى أورنگ زيب رسالة طويلة بخطه ودعاه الى زيارته . ولكن الامراء والحكام العسكريين نصحوه أن لا يذهب لزيارة والده المعتقل ، لأنهم كانوا يتوقعون كل داهية ومصيبة ممكنة منه . ولكن أورنگ زيب توكل على الله ، وذهب الى الناحية التي كان فيها والده شاهجهان . ولكنه ما ان اقترب من غرفته ليدخلها ويزور والده اعتقل حكامه رجلا يحمل رسالة خطية من شاهجهان الى دارا شكوه ينصحه أن يقيم في شاهجهان آباد (دهلى) ويستغل ما فيها من الاموال الطائلة والثروات والجنود ويؤطد مكانته هنالك . وأما أورنگ زيب فنحن نقضى أمره هنا عندنا . (١٩)

فدهش أورنگ زيب بروية هذه الرسالة وأمر باجراء التحقيقات عن الرسالة . فظهر أن شاهجهان كان يكيد لاغتيال أورنگ زيب ، وقد وزع السلاح على جميع النسوة الخاديات فى القلعة لئلا يخطر فى بال أحد خيال أى خطر منهن وأمرهن أن يهجمن على أورنگ زيب اذا أشار عليهن شاهجهان بذلك . وعلى الرغم من ذلك لم يأخذ أورنگ زيب خطوة ضد والده وتركه على حاله . (٢٠)

وكان من حسن حظ أورنگ زيب أن جميع المؤامرات ضده فشلت فشلا تاما ، أولا لأنه علم بجميع هذه الرسائل التي كتبها أبوه شاهجهان ضده الى أبنائه وأصدقائه ، وأخيرا فشلت المؤامرة للقضاء على حياته . فحينئذ اضطر أورنگ زيب الى القيام بأجراءات وقائية ، وألقى الحظر على أبيه فى كتابة الرسائل واستقبال الزوار . فكتب الى أورنگ زيب يعاتبه فى حظره ، ويحذره من عذاب الآخرة لعدم احترامه والده ، لعله كان يظن أن أورنگ زيب لم يعرف شيئا عن محاولته ومؤامرتة ضد حياته . ولكن أورنگ زيب لم يأل جهدا فى احترام والده وكتب اليه مع كل اجلال وتوقير ما ملخصه :

«ان جلالتمكم قضيتم عمركم فى تجارب متنوعة ، ورأيتم من تقلب الزمان مارأيتم . فكنت اعتقد أن تهملوا كل ماحدث خلال الايام الاخيرة وكأنه كان من القضاء المبرم أن يتولى هذا المتفادى مقاليد الامور . وكنت أتوقع أنكم لا تحاولون فى هزيمتى واعلاء أعدائى وترقيتهم . فعامل هذا المسكين مع جلالتمكم أحسن معاملة ممكنة ، وكان من ود هذا المسكين أن يشمر عن ساعد الجد لخدمتكم وطلب رضاكم بعد انتهاء هذه الضوضاء التى أحدثها أعداء الاسلام والمسلمين ، وأن لا يألو جهدا فى هذا ليفوز بالسعادة العظمى فى هذه الدنيا وفى الدار الآخرة . ولطالما كنت أسمع أن كل ما أشاهده وأواجهه من ثورات وقيام الناس ضدى كلها من تحريضكم ، وأن كل مايقوم به السادة الاخوة من غوغاء وحركات انقلابية انما هى من تشجيعكم . ولكنى أهملت دائما جميع هذه الانباء ولم تحدث فى خاطرى حتى وسوسة الانحراف عن احترامكم واجلالكم . ولكننى لما توالت الى الاخبار عن سخطكم على كما يظهر من خطابكم الذى وجهتم الى شجاع فى اللغة الهندية أيقنت أن جلالتمكم لاتحبون هذا الخادم المسكين ، ومع أن الامر قد بلغ الآن أشده لاتزال جلالتمكم تحاولون أن يصبح ولى الامر أحد غيرى ، وتضيع جهودى التى أقوم بها لتنفيذ الدين المتين واصلاح شئون الدولة . وأيقنت أيضا أن جلالتمكم لن تنتهوا عن أعمالكم هذه ولن تتخلعوا عن هذه الفكرة التى استولت عليكم بل تصرون على تلبيقها ، فنظرا الى هذه الاحوال اضطررت مع كل التأسف ولمجرد الحذر والوقاية الى أن لا أنفذ أمنيته التى كنت اتمناها . والله على ما أقول شهيد . وما ان اطمئن خاطرى عن انتهاء هذه الفتن تنتهى هذه الاجراء ت الوقائية (٢١).

ولكن أعنف المعارك التى خاضها أورنگ زيب خلال هذه الحروب

كانت مع اتحاد القوى المعادية للاسلام التي جعلت دارا شكوه قائدا وزعيما لها . وكان الامبراطور المتقاعد شاهجهان يؤيد هذه الطائفة ويدعمها بكل ماكان لديه من الوسائل والامكانيات . فاستطاع دارا شكوه أن يجمع جنودا طائلة تجاوز مائة ألف راكب الى جانب خمسة وعشرين ألف راجل . وأما أورنگ زيب فلم يكن معه الا حوالي ثلاثين ألف مقاتل بين راكب وراجل . ولكن لما اشتدت الحرب وحمى الوطيس لم يبق حوله الا ألف جندي . وكاد أن ينهزم أورنگ زيب وينهزم معه الاسلام في هذه المعركة القاصمة . ولكنه ثبت في مكانه ثبوت الجبال الراسيات «وكان أعصابه لم تكن من اللحم والدم بل كأنها كانت أسلاكا من حديد أو فولاد» (٢٢)

حتى وقع بين الاخوين اصطدام شديد في ٧ رمضان المبارك ١٠٦٨ هـ . ولكن داراشكوه اضطر الى الفرار من ساحة القتال قبل غروب الشمس تاركا الظفر والفتح لأورنگ زيب ذلك الصبور الصلب الثابت الذي قام في وجه الجحافل قيام الجبال الراسيات . وذهب داراشكوه بأهله وبنيه وماله ونقديته الى دهلي . ثم انتقل الى گجرات وأخذ يتجول في البلاد يحاول بدون جدوى أن يهزم أخاه ولكنه اعتقل في شوال ١٠٦٩ هـ وحوكم عليه في المحكمة بالارتداد والالحاد ، فحكمت المحكمة عليه بالاعدام فأعدم في ٣٠ ذى الحجة ١٠٦٩ هـ .

وبعد أن نجح اورنگ زيب في القضاء على القوات الهندوكية والالحادية ونودي به امبراطورا على الهند اعتقل والده الامبراطور المتقاعد شاهجهان كما مر . وكانت معاملته مع والده في السجن معاملة الابن البار الصالح مع والده المسن العجوز . ويعترف الدكتور برنير الفرنساوي والسائح المعروف الذي يشتهر بعدائه لأورنگ زيب بمعاملته

الحسنة مع أبيه . يقول الدكتور برنير :

«كانت معاملة أورنگ زيب مع شاهجهان لاتخلو عن اللطف والاحترام ، وكان لا يالو جهدا فى اكرام والده العجوز وتوقيره واستضافته وتسليته . وكثيرا ما كان يهدى اليه هدايا قيمة ويستشيريه فى شئون الدولة المهمة ويطلب نصيحته كأستاذه ومرشده الروحى . ويظهر من رسائله التى كان يكتبها الى شاهجهان احترامه واجلاله وطاعته لوالده . وكان من نتيجة هذا أن خمد غضب شاهجهان وانتهى عداؤه لابنه وبدأ يكاتبه ويراسله فى شئون الدولة وكان أحيانا يدعو له الخير والصلاح» (١٣) .
انتصار الكتلة الاسلامية : اعتلاء أورنگ زيب واصلاحاته الاسلامية .

قدمر بنا أن الحركة الالحادية التى بدأتها القوات المعادية للاسلام للقضاء على الكيان الاسلامى فى شبه القارة قد بلغت أوجها فى عهد الامبراطور جلال الدين محمد أكبر . وكان نظام حكومته نظاما جاهليا علمانيا . ومن المعلوم ان الامام المجدد بدأ حركته الاصلاحية فى مستهل العهد الجهانگيرى . وكان جهانگير تولى الحكم بمساعدة جماعة انصار الاسلام التى كانت تحتوى على أصدقاء الامام المجدد وأعوان حركته . وعلى الرغم من أن جهانگير لم يكن رجلا متدينا صالحا فى أعماله بل كان يقف موقفا بين موقف الاسلام وموقف الجاهلية والعلمانية فقد اضطر الى القيام بعدة اجراءات بالغة الاثر من الناحية الاسلامية . واستطاعت الحركة الاسلامية بفضل جهود الزعماء المجددين أن تساعد الامير خرم لصالح المتدين فى الاعتلاء على العرش باسم شاهجهان وكان رجلا متحمسا للدين مؤيدا للحركة المجددية منذ شبابه . ولكنه كان تحت تأثير وضغط زوجته ممتاز محل أم ابنه الامير داراشكوه . ولكن بلغت النتيجة

السياسية للحركة المجددية أوجها في عهد الامبراطور أورنگ زيب عالمگیر الذى عده بعض العلماء سادس الخلفاء الراشدين بعد الخلفاء الاربعة وسيدنا عمر بن عبدالعزيز سياسة ونظاما ومنهاجا . ولاشك أن توليه الحكم لم يكن الاثمة يانعة للجهود الطويلة والمساعي المتوالية التى بدأها الزعماء المجدديون قبل نصف قرن أو أكثر . ونذر بعض شيوخ الحركة المجددية ان ينفقوا فى سبيل الله كذا وكذا من الاموال اذا فاز أورنگ زيب فى الاعتلاء على العرش وخاب داراشكوه . ويروى أن الشيخ عبدالخالق الحضورى قال لمرشده السيد محمد آدم البنورى أن يدعو الله تعالى لنجاح أورنگ زيب ، فاذا قبل دعاءه ونجح أورنگ زيب فانه سوف يهدى اليه أرضا واسعة خصبة . (٢٤)

وما ان تولى أورنگ زيب مقاليد الحكم حتى أصدر مراسيم لعدة اجراءات مهمة . وجاءت هذه الاجراءات كبداية لاصلاح شامل لنظام الدولة وكيان المجتمع الاسلامى . ونذكر فى مايلى ، على سبيل المثال لا على سبيل الحصر ، بعض الاصلاحات التى قام بها فور توليه الحكم .

غير التقويم الشمسى (الذى اختاره أكبر امثالا وتقليدا لعبدة الشمس من الايرانيين) واتخذ مكانه نظام التقويم الهجرى الاسلامى .

وألقى منصب ملك الشعراء الذى كان سائدا فى شبه القارة وكثير من الحكومات الاسلامية الفارسية والاسيوية الوسطية . وألقى تقاليد المنح والعتاء للشعراء الذين كانوا يبالغون فى مدائح الملوك والاباطرة ، ويأتون فيها بالأقاويل والأكاذيب .

كان جلال الدين أكبر وخلفاءه حتى حفيده الصالح المتدين الامبراطور شاهجهان كلهم كانوا يحتفلون بنوروز كعيد وطنى تحت تأثير الكتلة الايرانية . فألغاه أورنگ زيب وأحل محله عيد الفطر الذى أمر فيه

أن يقام كمهرجان اسلامى وطنى . ومن الجدير بالذكر أن نوروز احتفال
 ايرانى مجوسى الأصل .
 وألغى جميع التشرىفات الامبراطورية والتقاليد الاميرية التى كانت
 تخالف أحكام الاسلام . منها عادة « النذرانة » التى كانت رائجة منذ
 بداية العهد المغولى واستوفت بعد وفاة أورنگ زيب . وكان المراد منها
 الهدايا التى كانت تقدم الى الامبراطور أو الى الوزراء والامراء من زوارهم .
 فكان كلما يزور الملك أحد كان من واجبه التقليدى أن يقدم اليه هدية
 كانت تسمى « نذارنة » أو « نذر » . وقد أصبحت هذه « الهدايا » فى
 الحقيقة نوعا من الرشوة . وكانت تبلغ أحيانا الى مئات الآلاف والملايين
 من الروبيات يقدمها كل من كانت له حاجة عند الامبراطور . وأمر الحكام
 أن لا يراعوا عند المثول أمامه تشرىفات وعادات غير اسلامية ويقروا عليه
 السلام حسب تعاليم السنة النبوية . وكذلك ألغى عادة « درشن » التى قد
 أصبحت بمثابة العبادة لبعض الهندوكيين . وكان جلال الدين أكبر هو
 الذى قد بدأ هذه العادة القبيحة . وكلمة درشن معناها اللغوية : النظر أو
 الرؤية . والمراد هنا النظر الى وجه الملك بنية العبادة . وكانت الهنادكة
 تعتقد أن النظر الى وجه الملك عبادة . فكان الملك يجلس فى نافذة
 خاصة لهذا الغرض فى قصره والناس كانوا يحتشدون تحتها فى الفناء .
 منذ الصباح الباكر حتى يظهر لهم وجه الملك ويرىهم اياه .
 وجدد نظام المساجد والأوقاف الاسلامية وخص لها أراضى واسعة
 خصبة لينفق عليها من دخلها . وأقام دور الأيتام والفقراء والمكفوفين
 والمحتاجين على حساب الدولة . وأنشأ الاستراحات للمسافرين ومطاعم
 مجانية لآبناء السبيل على الشارع الرئيسى الذى يوصل كابل بأورنگ
 آباد فى جنوب الهند .

وقام باجراءات هامة بعيدة المدى لتنفيذ النظام المالى الاسلامى .
وعفى عن ثمانين ضريبة وأتاوة فى العام الثانى من جلوسه على عرش
الامبراطورية . وكانت هذه الضرائب تبلغ عشرات الملايين من الروبيات .
وقام بعدة اصلاحات فى نظام البريد والمخابرات لخدمة المواطنين .
ومنع جميع أنواع الخمر والمسكرات . وأمر بتنحية أوانى الذهب والفضة
وجميع أدوات الكتابة التى كانت من الذهب أو الفضة .

وكان الاباطرة الأعاجم منذ قديم قد تعودوا بخصاء الرجال ليخدموا
بعد ذلك فى حرمهم ، وكانت هذه العادة القبيحة الشنيعة جارية فى شبه
القارة أيضا . وكان هؤلاء الرجال يسمون « خواجه سرا » أى سيد الحرم
فى العرف الهندى . ولكن أورنگ زيب لم يكن ليأذن لهذه العادة القبيحة
أن تستمر . فحرم خصاء الرجال ومنعه منعاباتا .

ثم أنشأ مصلحة الاحتساب وعين على رئاستها العلامة مير زاهد
الهروى الفيلسوف والعالم الشهير . وكانت مصلحة الاحتساب قائمة منذ
بداية العهد الاسلامى فى شبه القارة ، وعين عليها العلماء البارزون
والفقهاء الكبار المشهود بصلاحهم وتقواهم وورعهم . ولعل أشهر
المحتسبين فى شبه القارة قبل العلامة مير زاهد الهروى هو العلامة
القاضى ضياء الدين السنامى مؤلف نصاب الاحتساب . (٢٥)

ولكن من أكبر منجزات هذا الملك الصالح تدوين موسوعة فقهية تعد
من أكبر مصادر الفقه الحنفى . وهو كتاب الفتاوى العالمگیریة الذى يسمى
أحيانا بالفتاوى الهندية . واستخدم للقيام بهذه المهمة الجبارة جماعة
من العلماء والفقهاء الذين عكفوا طوال السنين على هذه الخدمة حتى اتوا
بهذه الموسوعة الكبرى .

وكان الشيخ ملا نظام الدين هو رئيس هذا المجمع الفقهى الذى قام

بتدوين هذه الموسوعة الفقهية الكبرى . وكان اورنگ زيب عالمگير يشرف على أعمال المجمع اشرافا خاصا شخصا . وأنفق عليه حوالى ربع مليون روبية . وكان ملا نظام يذهب كل يوم الى الامبراطور ويقرأ عليه ورقة أو ورقتين من مسودة الكتاب . وكان الامبراطور يناقش الشيخ ملا نظام فى كل مسألة يختلف فيها رأيه مع رأى المدونين .

وكان الامبراطور المغفور له رجلا متواضعا ، يتواضع مع كل واحد ، قاص أودان ، شريف وبسيط . زجره مرة والده شاهجهان على تواضعه وعجزه مع كل واحد وعدم عمله بالتقاليد الاميرية من أبهة وعجب وخيلاء فأجاب قائلا « ان هذا العبد ، المفتقر الى الله ، يعمل بالحديث النبوى الشريف الذى رواه أنس بن مالك (رضى الله عنه) : من تواضع لله رفعه الله . ولذلك أتصور انما كبيرا وعيبا قبيحا أن اسحق قلب أحد غماو حزناً من معاملتى الغير الملائمة معه . (٢٦) »

وكان يقول : « ان أعمال الولاة وأصحاب الحكم تؤثر فى انفاع خلق الله والاضرار بهم » . (٢٧) . فاذا كان الولاة طغاة جائرين بعيدين عن الاسلام يكون الشعب كذلك ، واذا كانوا صالحين متخلقين بأخلاق الاسلام ذابن عن بيضة الاسلام يؤثر ذلك فى نفوس الشعب أيضا . فكان رحمه الله يعامل كل واحد معاملة عادلة تليق وشأنه . وروى المؤرخون قصصا عديدة تدل على عدله وكيف كان يعامل أبناء شعبه . نذكر أحداها فى مايلى :

كان الشيخ أشرف اللاهورى من كبار حكام أورنگ زيب ومن أعضاء بلاطه المقربين . رفع مرة إحدى قضاياها الى محكمة أورنگ زيب نفسه الذى كان بناءا على كونه عاهل الامبراطورية رئيسا لأكبر محكمة النقض والاستئناف ، فطلب الامبراطور المدعى عليه

سيد محمد أمير للمثول أمام المحكمة ، فغادر السيد لاهور متوجها الى
 دلهي ، وأقام خارج المدينة . فلما علم الامبراطور أن السيد وصل الى
 دهلي وأقام خارج المدينة أمر المدعى الشيخ أشرف اللاهوري أن يخرج
 من المدينة ويقيم على نفس المسافة وأن لا يحضر بدون أمر من الامبراطور
 فانه يطلب الفريقين بنفسه على سواء» فان في المحاكم وأحكام الشرع
 المحمدى لارعاية لأحد سواء كان مصاحبا للامبراطور أم غيره . . فلما
 رأى الشيخ أشرف هذه الاحكام الصارمة تخلى عن دعواه .

وكان الامبراطور أورنگ زيب رجلا صبورا لا يتعب عن عمله ولا يكل
 ولا يمل . رآه الدكتور جيلى كرىرى وهو يناهز الثمانين من عمره . يقول
 كرىرى : « انى رأيتاه واقفا بين ظهراىى أمرائه وحكامه متكئا على عصاه ،
 وكان يلبس ملابس بيضاء صافية . وكانت على رأسه عمامة مزينة بقطعة
 من زمرد . كل واحد من المستغيثين يتقدم اليه ويقدم اليه عرضه وطلبه . فيقرأ
 الامبراطور كل عرض أو طلب بنفسه بدون نظارة ثم يوقع عليه بنفسه .
 وكان يظهر من وجهه الهش البش أنه فرح لمشغولياته هذه . . وكان يعقد
 كل يوم بلاطا عاما يدخله من يشاء بدون أى مانع أو تعويق . وكان
 الامبراطور يستمع الى كل واحد .

انفجرت ذات مرة بعض النفوق البارودية بعد أن وضع فيها المراهة
 النار واستشهدت جموع كبيرة من الجنود المسلمين ، فاندفع أورنگ زيب
 بعجلة سريعة الى مكان الحادثة وهجم بنفسه على العدو ، وقتل منهم عددا
 كبيرا وكان عمره آنذاك يجاوز الثمانين (٢٨) .

من عادة الملوك والاباطرة دائما أنهم لا يعباون بأموال الدولة
 ويضيعونها فى ترفهم وهناءهم ، الا مارحم ربي . ولكن أورنگ زيب لم
 يكن ممن لا يبالون بحدود الله وأوامره ونواهيه . وكان أورنگ زيب عالمغير

يحسن الخط ويكتسب رزقه من كتابة المصحف الشريف ، وتوجد الآن ستة نسخ من الكتاب الحكيم المكتوب بأيدي السلطان محي الدين أورنگ زيب عالمگیر . والمصحف الذي كان يتلو فيه موجود في مكتبة جامعة كولمبيا . ومرة أعد أورنگ زيب نسخة قيمة من القرآن الكريم التي أرسلها « الى مكة المكرمة زادها الله قدرا .. » . وبعد أن تولى الحكم كتب نسخة أخرى وأرسلها أيضا الى مكة المكرمة ثم بعث نسختين الى المدينة المنورة وانفق على تزيينهما مبالغ كثيرة من جيبه الخاص (٢٩) . وعلاوة على كتابة المصحف كان يشتغل في أوقات فراغه في صنع القلائس ويكتسب من أجرتها رزقه - (٣٠) .

ومع شدته في تقواه كان عكوكا على العبادات والدعاء والذكر . فراه الدكتور برنير في ١٦٦٥ وهو يقول : « كان نحيفا هزيلا وأضاف في ضعفه وهزالته استمراره في صومه وعكوفه على عباداته (٣١) .

وكان رجلا جوادا سخيا . وحدث ذات مرة أن كتب عناية الله خان رئيس ديوان العطاء (بخشى) الى الامبراطور يقترح عليه أن يقلل من عطاءاته ، فان جوده وسخائه لا يقف عند حد والاموال والثروات فهي محدودة على كل حال . فكتب الامبراطور على عرضه هذا :

«استغفر الله» ان نظام المملكة مثل نظام ملكوت الله . فان الخلق عيال الله ورزقهم على الله . وأما هذا القاسم الفقير الضعيف (يريد نفسه) ليس الا وكيل ربه الجليل في المنح والعطاء . واعلم أن اعتقاد الحد والنهائية في ملك الله عين ضلال ومحض هلاك .. (٣٢) .

وتتجلى بساطة هذا الامبراطور المؤمن المجاهد المتدين وتقواه وسداجته وزهده في الحياة ورغبته عن لذات الدنيا في وصيته التي تركها لورثته وخلفاءه من بعده . وجاء في هذه الوصية مايلي :

- ١- ان الروبيات الاربع والآتين (حوالى $\frac{٤}{١٠}$ دولار أمريكى) التى اكتسبناها بخياطة القلائس محفوظة عند السيدة آية بيگم . ولينفق هذا المبلغ فى تكفينى ودفنى .
- ٢- مبلغ ثلاثمائة وخمس روبيات (حوالى ثلاثين دولارا أمريكيا) موجودة فى صندوق المصاريف الملكية الخاصة . وهذا المبلغ حصلنا عليه كأجرة كتابة القرآن الكريم . وليقسم هذا المبلغ فى المساكين يوم وفاتى . وبما أن أجرة كتابة القرآن الكريم غير جائزة عند بعض فقهاء الاسلام فأرى من الواجب أن لاتنفق فى تكفينى ودفنى .
- ٣- يجب أن يكون قبرى قبرا عاديا ولا أدفن فى التابوت وأن لاتكون على قبرى بناية أو سرادق أو غناء أو بدعات أخرى ٣٣ .
- وفاة أورنگ زيب : قضى أورنگ زيب أكثر من نصف قرن أيامه على ظهر فرسه يقود جنود الاسلام ولياليه على سجاده يعبد ربه ويذكره . واستمر فى مكافحته للقضاء على البغاة الهندوكيين والفوضيين من قوم المراهته حوالى ثلاثة عقود . وبعد أن فتح جميع قلاع البغاة ومراكزهم . وهزم الفوضيين وكسرتهم أقام عدة أيام فى أحمد نگر فى جنوب الهند فمرض هنالك مرضا شديدا وازداد مرضه يوما فيوما والتمس منه خادمه الخاص عبدالحميد أن يتصدق بفيل وجوهرة ألماس لعله يشفى من مرضه . فكتب على طلبه بقلمه الخاص : « صدقة الفيل لهذا الغرض من عادة الهند وعبد النجوم . وانما عليك أن ترسل الى السيد القاضى أربعة آلاف روبية (حوالى اربعمائة دولار) ليوزع على المستحقين والفقراء » . وفى اليوم الثامن والعشرين من ذى العقدة ١١١٨ هـ وكان اليوم يوم الجمعة جلس بعد اداء صلاة الفجر على سجاده واستمر فى ذكر الله يتلو كلمة التوحيد حتى وافاه الاجل المحتوم قبيل صلاة الجمعة . رحمه الله تعالى

رحمة واسعة وتغمده بغفرانه . (أمين) وكان عمره واحدا وتسعين عاما بالتقويم الهجرى وتسعاً وثمانين بالتقويم الشمسى . وحكم أكثر من نصف قرن . ودفن فى قرية جلال آباد فى مديرية أورنگ آباد فى جنوب الهند . ويستخرج تاريخ وفاته على حساب الابدجى من قول الله تعالى عز من قائل :

روح وريحان وجنة نعيم



المراجع

- (١) رقعات عالمگیرى : ص ٣٦٦
- (٢) راجع التفاصيل فى رقعات عالمگیرى ، وخاصة المقدمة للاستاذ البعانة نجيب أشرف الندوى .
- (٣) محمد میان : علماء هند كا شاندار ماضى ، مجلد أول ص ٥٤٣ .
- (٤) طبع هذا الكتاب فى بنارس ١٩٠٩ م .
- (٥) لم يطبع هذا الكتاب حتى الآن ، وتوجد نسخه الخطية فى مكبات الهند وأوربا . وتوجد احدى هذه النسخ فى مكتبة

المتحف البريطانى فى لندن . ورقمها Oriental 224

- (٦) طبع هذا الكتاب فى تهران . فى عام ١٩٦٥ م وتوجد نسخه الخطية فى مكبات مختلفة أيضا .
- (٧) طبع هذا الكتاب فى لكهنؤ ، الهند ١٨٨١ م .
- (٨) طبع هذا الكتاب فى دهلى ، عام ١٨٩٢ م .
- (٩) قام الدكتور محفوظ الحق بنقل هذا الكتاب الى اللغة الانكليزية وقدمه بمقدمة باسم

Introduction to the Translation of Majma — al— Bahrayn وطبع فى

كلكته ، الهند ، فى عام ١٩٢٩ م .

(١٠) مآثر عالمگیرى ، ص ٥٢٥ - ٥٢٦ .

(١١) هو ابن الامام المجدد أحمد بن عبدالأحد السرهندى ، راجع لترجمته : نزهة الخواطر ، ج ٥ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

- (١٢) - راجع حالات مشائخ نقشبند ص ٢٧٤
- (١٣) - رقعات عالمگیری : ص ٢٦٤-٢٦٧
- (١٤) - رقعات عالمگیری ، ص ٣٠٨ .
- (١٥) - علماء هند كا شاندار ماضى ، مجلد أول ص ٦٠٩ - ٦١٠ .
- (١٦) - المصدر السابق ، ص ٦١٠-٦١١ .
- (١٧) - رقعات عالمگیری ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .
- (١٨) - شاندار ماضى ، مجلد اول ، ص ٦١٢-٦١٨ .
- (١٩) - رقعات عالمگیری ص ٢٩٥ .
- (٢٠) - رحلة الرحالة الاوربى الدكتور برنير الترجمة الاردوية ، ص ٢٩٥ وايضا نظرة على اورنگ زيب عالمكير للعلامة شبلى النعمانى ص ٣٨ .
- (٢١) - رقعات عالمگیری ص ٢١٨-٢١٧ .
- (٢٢) - لين بول .
- (٢٣) - رحلة الدكتور برنير فى شبه القارة ، مجلد ثان ص ٢٨٩ .
- (٢٤) - علماء هند كا شاندار ماضى ، ج ١ ، ص ٤٦٥-٤٦٦ .
- (٢٥) - لم يطبع هذا الكتاب حتى الآن . وتوجد نسخة الخطية فى مكتبة جامعة بنجاب .
- (٢٦) - وقائع عالمگیری ، ص ٤ .
- (٢٧) - رقعات عالمگیری ص ١٣ رقعة ٤٣ .
- (٢٨) - علماء هند كا شاندار ماضى ، مجلد ١ ، ص ٦٦٠ .
- (٢٩) - علماء هند كا شاندار ماضى ، مجلد ١ ، ص ٦٥٥ .
- (٣٠) - اورنگ زيب عالمكير بر ايك نظر ، للعلامة شبلى النعمانى .
- (٣١) - مصدر سابق .
- (٣٢) - وقائع عالمگیری ، ص ١٠٨ .
- (٣٣) - أنظر نص الوصية بكاملة فى وقائع عالمگیری ، ص ١١٧ - ١٣٠ -

